حِينَ يُكْسَرُ العُودُ لِيُزْهِر

دليلك لصناعة نصرك الخاصِّ بعد صدمة المسار

الإهداء..

إلى..

أُولَئِكَ الَّذِينَ وَقَفُوا أَمَامَ "شَاشَاتِ النَّتَائِجِ" وَتَمَزَّقَ فِي صُدُورِهِم شَيْءٌ لا يَرَاهُ أَحَد...

إِلَى كُلِّ مَنْ بَكَى فِي العَتَمَة، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَخَرَجَ لِلْعَالَمِ بَابْتِسَامَةٍ صَلْبَة...

إِلَى مَنْ ظَنُّوا أَنَّ النِّهَايَةَ قَدْ كُتِبَت، لِيَكْتَشِفُوا أَنَّهُم الصَّنَّاعُ الحَقِيقِيُّونَ لِلْبَدَايَة...

إِلَيْكَ أَنْتَ... أُهْدِي هَذَه الحروف الصَّاقة..

..المقدمة..

رسالة إلى المقيمين في المنتصف

نحن نعيش في عالم يقدس "النتائج النهائية"؛ يحب القراءات السريعة، والنَّجاحات المعلنة، وقصص الوصول السعيدة.. لكن لا أحد يتحدث عما يحدث في المنتصف.. في ذلك الفراغ الفاصل بين ما تمنيناه وما حدث بالفعل.

عندما نضع خططنا المستقبلية..نرسمها بخطوطٍ مستقيمة وواضحة.. نعتقد أن السعي يعني الوصول المباشر، وأن النجاح له شكل واحد وحيد..
لكن الواقع يباغتنا أحياناً بـ "محطات انتظار" لم نكن نتوقعها؛ محطات تقف فيها على أعصابك بانتظار نتيجة، أو تتأرجح فيها بين خيارات لم تفكر بها من قبل.

كتبتُ هذا الكتاب لك إذا كنت تقف اليوم في تلك المحطة الحائرة.. إذا كنت تخشى ألا تسير أمورك كما خططتَ أنت لها..أو إذا وجدت نفسك تسلك طريقاً لم يكن خيارك الأول.

هذا الكتاب ليس مواساة، وليس كلاماً تنظيرياً عن "كيف تطارد حلمك"..

بل هو دليل عملي ورفيق طريق يُخبرك كيف تخرج من "الخريطة الأولى" لتصنع نجاحك الخاص، وكيف تزهر وتتميز في أي مكان توضع فيه.

اعبر معي هذه الصفحات، لنتعلم كيف ننجح عندما لا تسير الحياة كما خططنا لها.

هدوءُ ما قَبلَ الخُطَّة...

1.1 مشاعر المنطقة الرمادية :التَّسكُّع في ممرات الضَّباب

ليس الضجيج هو ما يرعبنا في نهاية المعارك، بل الصمت الكثيف الذي يخلفه انسحاب الغبار.

حين تتوقف محركات السعي فجأة، وتضع القلم الذي طالما ركضت به على أوراق السنة .. لا تجد الخفة التي وعدت بها نفسك...

بدلاً منها، تسقط في فجوة زمنية لا اسم لها. يتوقف الزمن في الخارج، بينما يستمر عقلك بالدوران في فراغ مطلق، محاولاً التقاط أي إشارة تخبره أين يسند رأسه في الغد.

أهلاً بك في "المنطقة الرمادية"؛ المساحة المعتمة التي تفصل بين جسد ترك الميناء، وسفينة لم تصل إلى ضفتها بعد.

في هذه المنطقة.. لا تكون مهزوماً، ولا منتصراً..

أنت فقط "معلّق". تتطلع إلى الوراء فتجد أبواباً أُغلقت للأبد، وتتطلع إلى الأمام فلا ترى سوى ستائر هفهافة من الضباب. هذا التِّيه ليس عجزاً في خطوتك، بل هو الأثر الجانبي للعبور من مسار كنت تملكه، إلى مسار يملكك هو.

تكمن المأساة في أن أدمغتنا مُصممة لكره الفراغ. نحن كائنات تبحث عن الأشكال المكتملة، وتخشى اللوحات الناقصة. لذلك، حين يمتنع الواقع عن إعطائنا إجابة حاسمة، تبدأ مخيلتنا بملء الفراغات بالسيناريوهات الأكثر قسوة.

نتساءل في سِرّنا: "ماذا لو سقط السقف الذي بنيته بيدي؟ ماذا لو طُردت من الحلم الذي اعتقدت أنه مفصل على مقاسي؟".

لكن ما لا تدركه وأنت تتآكل في هدوء هذه المنطقة، هو أن الحيرة ليست عطباً في بوصلتك، بل هي إثبات على أنك تحمل شيئاً يخشى الهوان. الخوف الذي يعصر صدرك اليوم هو الضريبة التي تدفعها لأنك تجرأت على الشغف.

نحن نعيش في مجتمع يعامل الإجابات السريعة كبطولات، ويصنف التردد كجريمة. نُساق منذ الصغر داخل خطوط مستقيمة: ادرس، تخرّج، ارتدِ الرداء الأبيض، واصنع اسمك. لكن الحياة ليست خطاً مستقيماً يُرسم بالمسطرة، بل هي لغة سريالية لا تفصح عن معانيها إلا لمن يجرؤ على السير في العتمة دون أن يطالب بنور كامل.

عقلك الآن يحاول ممارسة "الابتزاز العاطفي" ضدك؛ يخيرك بين احتماليين لا ثالث لهما: إما أن تفتح الحياة لك الباب الذي أردته بالمليمتر، أو أن تسقط في هاوية الضياع. هذا التفكير الحدّي هو القيد الذي يجبرك على الجلوس في غرفة الانتظار بقلب مشتعل. أنت تختزل وجودك كله في مسار واحد، وتنسى أن الأرض أوسع من نافذة واحدة، وأن قدرتك على الإزهار لا تتوقف على نوع التربة التي ستُغرس فيها.

إليك الحقيقة التي تحاول هذه المنطقة الرمادية أن تهمس بها في أذنك: أنت لست النتيجة. أنت لست الدرجة المكتوبة على

الشاشة، ولست المسمى الوظيفي الذي تنتظره في القائمة. هذه كلها مجرد أدوات، وأنت الصانع. والصانع لا يفقد بريقه لمجرد أن العدة تغيرت في يده.

التوقف الذي تعيشه اليوم ليس عقاباً، بل هو

"وقفة استراحة قصيرة" لا بد منها للذاكرة كي تتطهر من إرهاق السعي القديم، وللروح كي تستعد لتقبّل الخريطة الجديدة—أياً كانت تضاريسها.

تعلم أن تتنفس في الضباب. لا تطالب المساء بأن يمنحك شمس الظهيرة. سلم زمامك للقدر، واعلم أن الذي أخرجك من الشتاءات السابقة، لن يعجز عن إنباتك في الصيف القادم.

1.2 التحرر من صنم التوقعات :

من يُمسك بقلم قصتك؟!

أكبر الأكاذيب التي نتربى عليها دون أن نشعر، هي أننا نعيش حياتنا لأنفسنا فقط.

حين تقف في مهب الانتظار، وتكتشف أن الخوف الذي ينهك روحك ليس نابعاً من خشية الفشل ذاته، بل من .. **"نظرة الآخرين لتعثرك"**، ستدرك حينها أنك كنت تحمل أثقالاً لم تكن ملكك منذ البداية.

نحن نولد في مجتمعات تُحب تصنيفات الرداء. تُقدّس الألقاب البرّاقة، وتمنح الاحترام بناءً على حروف سحرية تسبق الأسماء. وبمرور الوقت، وببطء شديد لا نلاحظه، نتحول من أطفال يملكون شغفاً حرّاً بالاستكشاف، إلى عبيد لتوقعات الأهل، ونظرات الأقرباء، وهمسات المجتمع. نبني أحلامنا كأننا نؤسِّس متحفاً يُعجب الزوار، لا بيتاً دافئاً نعيش فيه ونستريح.

حين تقف في هذه المنطقة الرمادية، لا يرعبك أن تصبح صيدلياً بدل أن تكون طبيباً، ولا يقلقك أن تدرس البيولوجيا بدلاً من المشرط والعمليات. ما يرعبك حقاً هو تلك اللحظة التي ستواجه فيها العيون التي راهنت عليك، وتلك التساؤلات الباردة التي ستنهمر عليك كالسياط: "ما الذي حدث؟ ألم تكن مميزاً كما ظننا؟".

نحن لا نختار خريطتنا الأولى في غالب الأحيان بكامل إرادتنا؛ بل نختارها تحت تأثير **"تخدير اجتماعي"** جماعي. نرى الأهل يبتسمون حين نذكر التخصصات العالية، ونرى الأقارب يصمتون بإجلال أمام المسميات الرفيعة، فنفترض تلقائياً أن هذا هو المسار الوحيد للكرامة الإنسانية.

لقد ألبستك التوقعات غطاءً ضيقاً لا يشبهك، وأقنعتك بأن القيمة الإنسانية محصورة في قائمة محددة من الكليات. لكن دعنا نسأل بالعمق الذي نخشاه جميعاً: من وضع هذه القواعد؟ ومن قرر أن هذا المسار هو الأعلى وأن غيره أدنى؟

إنها مجرد اتفاقات اجتماعية متوارثة، خالية من المعنى الحقيقي، منحها الناس الهيبة لأن الجميع يخاف من مخالفة القائلين بها. لكن الواقع يقول إن التاريخ لا يتذكر من ارتدى الثوب الأكثر لمعاناً، بل يتذكر من صبّ روحه بالكامل في المجال الذي وُجد فيه حتى أحاله إلى ذهب خالص.

حين تجلس مع نفسك في العتمة، سلها بصراحة قاسية: "لو كنت أعيش على كوكب مهجور لا يراني فيه أحد، هل كنت سأحزن بنفس القدر لو تغير مساري؟". الإجابة الصادقة عن هذا السؤال ستكشف لك كمية الزوائد التي تحملها في قلبك دون داعٍ.

أصبحت هذه المنطقة الرمادية أكثر قسوة واستنزافاً للروح. أنت لا تتصارع فقط مع أفكارك الداخلية..

بل تتصارع مع شاشات مضيئة تعكس لك باستمرار

"نجاحات الآخرين" المفبركة والمعروضة في أبهى صورها.

تفتح هاتفك فترى زميلك الذي يعلن قبوله في رغبته الأولى، وتلك التي تبتسم بانتصار خلف ثوبها الجديد، فيتهيأ لك أن الجميع وصلوا واستقروا إلا أنت. تشعر كأن القطار قد غادر المحطة بجميع ركابه، وتركك تواجه الحيرة والرّياح وحدك على الرَّصيف.

لكن ما تغفله عينك المجهدة هو أنَّ الناس يعرضون في الشاشات "مواسم الحصاد" فقط، ويخفون عن عمد في العتمة ليالي الشك، والأرق، والدموع السريّة التي سُكبت في غرف الانتظار المغلقة.

إن مقارنة "مرحلة انتظارك الصامتة" بـ "لحظة وصول الآخرين المعلنة" هي خيانة ذاتية صريحة لرحلتك الخاصة. أنت لا تسير في السباق نفسه، ولا تحمل المكونات ذاتها، ولا تُكتب لك المقادير بالنُسخة الكربونية عن غيرك.

حين تقارن خطوتك المعلقة بخطوة غيرك الثابتة، فأنت تظلم النص البديع الذي يكتبه الله لك. أنت تشبه من يقتطع صفحة مضطربة من منتصف رواية معقدة ليقارنها بالصفحة الأخيرة من رواية أخرى بسيطة.

لكل روح توقيتها الخاص للإزهار؛ هناك من يزهر في الربيع مع الجميع، وهناك من لا يعلن عن جماله الفارق إلا في قسوة الشتاء.

حين تدرك هذه الحقائق، يحدث شيء شبه معجزة داخل صدرك: يبدأ الخوف الثقيل بالتلاشي تدريجياً، ويحل محله نوع نادر من الخفة والنضج.

تكتشف أن القلم الذي كنت تكتب به خريطتك الأولى لم يكن في يدك إطلاقاً؛ بل كان في أيدي تلك النظارات التي تترقبك وتصدر أحكامها السريعة عليك. والتجربة التي تخوضها اليوم في الانتظار ليست عقاباً، بل هي فرصتك الاستثنائية لتهشيم هذا الصنم الاجتماعي. إنها دعوتك الأولى لتقول للعالم بجمال وشموخ: "مستقبلي ملكي، وسأنبثق من أي أرض يختارها القدر لي، دون أن أطلب إذناً من أحد لكيمياء نجاحي."

ما يعنيه التحرر الحقيقي من التوقعات هو أن تتوقف عن كونك "هامشاً" في قصص الآخرين، وتتحول إلى "المحور والمركز" لقصتك الخاصة.

الدكتور، الصيدلي، المهندس، المبتكر، أو الباحث... هذه كلها مجرد "ستائر مسرح" وديكورات خارجية. الممثل البارع هو من يجبر الجمهور على الوقوف والتصفيق من قوة أدائه وسحر حضوره، وليس من نوع الرداء الذي يرتديه على المسرح. حين تدخل تخصصك القادم بغض النظر عن مسمّاه، ادخله بصفة **"الفاتح"** الذي جاء ليستكشف، لا بصفة "المهزوم الذي لم يجد مأوى آخر".

اخلع عن كاهلك رداء التوقعات العتيق. ادخل إلى مسارك الجديد عاري الذهن من أحكامهم، ومتسلحاً فقط بإرادتك في أن تصنع من المتاح بين يديك تحفة لا تتكرر. حينها فقط..
سيتوقف أولئك الذين كانوا ينتقدون خياراتك عن الكلام..
وسينظرون إليك بدهشة مَن رأى زهرة نادرة نبتت في وسط الصخر الصمّاد.

1.3 التسليم الإيجابي: هندسة السقوط نحو الأعلى

الخطوة الأخيرة للعبور من سجن هذه المنطقة الرمادية، لا تتطلب منك القوة، بل تتطلب شيئاً أكثر رعباً وقسوة: أن تتوقف عن المقاومة.

نحن نعيش في ثقافة تُقدّس الصراع؛ تُعلمنا أن نتثبّث بالأشياء حتى تدمى أيدينا، وأن نصرخ في وجه الريح حتى تفقد حبالنا الصوتية قدرتها على الكلام. يُقال لنا إن الاستسلام ضعف.. وإن التراجع هزيمة... لكن لا أحد يخبرك بذاك الفرق الخفي والعميق بين **"الاستسلام"** و**"التسليم"**.

الاستسلام هو أن تسقط أرضاً، وتترك طين الخيبة يلوث وجهك، وتبكي على الأبواب المغلقة كمن ينتظر أن تتغير قوانين الفيزياء لأجله.

أما التسليم فهو أن تقف بكل قامتك أمام الباب المغلق، تنظر إليه بطمأنينة هادئة، ثم تستدير بكبرياء وتسير نحو الظلام وأنت تعلم أن هناك باباً آخر لم يُبْنَ بعد إلا لأجلك.

التسليم هو الشجاعة المطلقة في أن تقول للحياة: "لقد أعطيتكِ كل ما في وسعي، والآن سأدع يد القدر ترسم باقي اللوحة بنفسها."

عندما تعصمك الخيبة من الانكسار الأكبر

في عمق العتمة، وأنت تندب حظك لأنك لم تحصل على ذلك التخصص الذي طالما رددت اسمه في صلواتك..

يغيب عنك إدراك الحقيقة الأزلية: أن نجاة الروح قد تكون أحياناً في الحرمان.

كم من حلم تمنيناه وسكبنا لأجله أعمارنا، وحين فتحت الحياة لنا أبوابه، اكتشفنا أنه كان مقبرة لمشاعرنا وشغفنا؟ كم من مسار خُيِّل إلينا أنه الجنة الموعودة، ولم يكن في الحقيقة سوى سجن مزين بالذهب والثناء الخارجي؟

أن يُحرم المرء مما يريد، ليس دليلاً على عدم استحقاقه، بل قد يكون علامة على أن طاقته أكبر من أن تُختصر في ذلك المكان المضيء الذي يراه الناس.

الله حين يغير اتجاه خريطتك، لا يعاقبك، بل يمارس عليك **"هندسة عكسية للقدر"**؛ يعصمك من طريق كان سيتآكل فيه جوهرك الصادق، ليضعك في تربة أخرى، صلبة وموحشة في بدايتها، لكنها الوحيدة القادرة على جعل جذورك تضرب في أعمق طبقات الأرض.

حين تقبل بهذه الفكرة بقلب مفتوح، ينسكب داخل صدرك سلام غريب ينهمر كالمطر على أرض محترقة. يتوقف النزيف النفسي. تنكفئ التساؤلات المؤلمة التي كانت تنهش ليلك، وتكتشف أن الحياة ليست مكاناً لجمع الغنائم، بل هي ساحة لاكتشاف من نكون حقاً حين تتبدد كل توقعاتنا.

الخطة البديلة ليست عزاءً للمهزومين..

المأساة الأكبر في أذهاننا هي أننا ننظر إلى "خطة البداية" على أنها الطريق الأصلي الوحيد، ونعامل "الخطة البديلة" كأنها ملجأ طوارئ باهت ومظلم نلجأ إليه حياءً وخجلاً.

لكن التاريخ الحقيقي للبشرية—بعيداً عن الأساطير المدرسية—يُخبرنا بأن معظم الإنجازات العظيمة التي غيَّرت وجه العالم، لم تُبْنَ على الخطة (أ)! لقد نبتت في الهوامش، وفي المسارات الجانبية التي اضطر أصحابها لسلوكها وهم يبكون!

التخصص القادم الذي تنتظره برعب—سواء كان صيدلية.. أو علوماً طبية..أو تقنية.. أو غيرها—ليس "عزاءً لمعدلك"، بل هو المسار الذي كُتب لك لتختبر فيه كيمياء وجودك الحقيقية.

المسمى الوظيفي..واللقب.. وثوب المختبر... هذه كلها مجرد "ستائر مسرحية" وبهرجة زائلة. الممثل الأسطوري هو من يجبر القاعة بأكملها على البكاء والتصفيق من شدة صدقه وهو يقف في زاوية معتمة، بينما ينسى الجميع الممثل الرخيص الذي يرتدي التاج ويقف في منتصف الضوء!

ادخل إلى مسارك الجديد بصفة "الفاتح". لا تطلب الشفقة من أحد، ولا تعتذر لأنك لم تكن في القائمة الأولى. ادخل وأنت تحمل بداخلكَ مجدك الخاص، واثقاً بأنك أينما هبطتَ ستصنع من الحجارة طريقاً، ومن القحط بستاناً.

الشهيق الأول خارج ممرات الضباب:

حين تُغلق هذا الفصل من الكتاب، خذ نفساً عميقاً، واسمح للدمعة التي حبستها طوال أيام الانتظار أن تسقط؛ فلست بحاجة لأن تكون صلباً طوال الوقت. الدموع ليست دليلاً على انكسارك، بل هي طقس تطهير نودع به الخريطة الأولى.

استرح الآن...ضع يدك على قلبك الذي ينبض بقوة رغم كل الخوف، واهمس له بأسى :
"لقد عبرنا أصعب الأيام، وما ينتظرنا في الغد أيا كان، سأجعله ينحني أمام إرادتنا."

انتهت مرحلة الركض الحفيث، وبدأت مرحلة العبور الكبير. الضباب الذي يلتف حولك الآن لن يدوم طويلاً؛ فالشمس لا تستأذن أحداً لكي تشرق، وفي اللحظة التي تتوقف فيها عن مطالبة الليل بأن يعطيك نهاراً، ستلمح الضوء الأول ينبثق من أعماقك أنت.

سلم زمامك للمقادير، واعلم أن الذي أنبت روحك في رحم العتمة، لن يعجزه أن يخرجك من هذا الضباب أشد بريقاً، وأعمق نضجاً، وأكثر جمالاً مما كنت تتخيل يوماً.

تفكيك
"وهمُ التَّخصص الوحيد"

2.1 صنم المسمى الوظيفي:

العيش في ظلال الألقاب المستعارة تزلقُ العقولُ الشابة نحو العبودية الاختيارية في صمتٍ تام، دون أن تقرع جرس إنذار واحد.

منذ اللحظة الأولى التي وُعينا فيها على هذا العالم، طُرح علينا السؤال الذي يبدو في ظاهره بطلاً، وفي باطنه استبداداً مغلفاً باللطف: "ماذا ستصبح عندما تكبر؟".

لم نكن نعلم أن المجتمع—بعفوية قاسية—كان يجبرنا على توقيع شيكٍ على بياض لحساب هويتنا المستقلة. كنا نجيب بأسماء مهنٍ لا نفقه من تفاصيلها سوى البصريات: الرداء الأبيض، السمعة البراقة، أو النظرة الإجلالية في أعين الرفاق.

هكذا، وببطءٍ خفي، سُمح للهوية أن تتصلّب داخل قالبٍ ضيق. تحول "اللقب المستقبلي" من مجرد وسيلة تعبير عن النشاط البشري إلى "صنمٍ ذهني" نخرّ له ساجدين كلما اقتربت مواعيد قطاف النتائج.

أن نُختزل في كلمة، في حرفين يسبقان الاسم... أليس هذا أقصى أشكال الظلم الذي نمارسه بحق أنفسنا؟

تخيل معي أنك تمشي في معرضٍ للفنون، وتتأمل لوحةً نادرة استغرق رسمها سنواتٍ من التداخل المعقد بين الألوان والأفكار

والنُدوب، ثم يأتيك أحدهم ويصنف كل هذا الاتساع ببطاقة صغيرة كُتب عليها: "أداة حائط".

هذا بالضبط ما نفعله بذواتنا عندما نربط استحقاقنا الوجودي برمز التخصص.

إن الفزع الشديد الذي يصيب الطالب فور علمه بضياع مقعد دراسي محدد، ليس خوفاً من خسارة العلم ذاته—فالعلم مباح في كل الأرجاء—بل هو ذعر من "العراء الاجتماعي". يخشى أن يلتفت حوله فلا يجد "الغطاء الرمزي" الذي كان يُطمئن به خجل انتظاره. إنه حدادٌ على الصورة البراقة التي رُسمت له في أذهان الآخرين، لا على حقيقته الداخلية.

لكن، دعنا نغوصُ في هذا العمق: من تكون أنت، لو جُرّدت في هذه اللحظة بالذات من كل المسميات؟

إذا جرّدناك من فكرة "الطبيب"، وخلعنا عنك عباءة "المهندس"، ونزعنا لوحة "الخبير"... ماذا يتبقى في القاع؟

إذا كان الجواب صمتاً مفرغاً أو عدماً، فهذا يعني أنك لم تبنِ ذاتك يوماً، بل بنيت متحفاً للآخرين كي يتفرجوا فيه عليك. المسمى الوظيفي أداةٌ لتأدية دور في مسرح المادة، أما العقل، والشغف، والإنسانية، والمرونة، فهي الجوهر الذي يستحيل على أي نظام مفاضلة أو خوارزمية فرز أن تقيسه أو تمنحه إياك.

الناجحون الحقيقيون في هذا العالم لم يُصنعوا داخل جدران كلياتهم؛ الكليات منحتهم الميدان فقط، أما "الروح" فأحضروها معهم من الداخل.

كم من صاحب لقبٍ طنان يعيش حياة بائسة في ظلال روتينه، يُصلب كل يوم على خشب مكافأته المادية دون أن يترك أثراً في قلب إنسان؟ وكم من شخصٍ سلك مساراً اعتبره المجتمع "عادياً"، ولكنه بذكائه الروحي ومرونته النفسية ألقى حجارته في مياه الحياة الركودة، فأحدث موجاتٍ من التغيير لم تستطع الألقاب الأكاديمية العالية أن تُحدث مثلها؟

الصنم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وإن لم تهدم هذا الصنم بيدك الآن—وأنت في لحظة الممر الضيق بين مسارين—ستظل طوال حياتك خائفاً من أن يكتشف الناس أنك بلا ألقاب، مجرد كائنٍ يركض خلف سراب التقدير الخارجي.

اجعل اسمك هو العلامة الفارقة، لا الكلمة التي تسبقه. ابتكر قيمتك من عمق تجربتك، من طريقة تفكيرك في الأزمات، ومن قدرتك على الارتداد حياً ومشرقاً كلما ظن العالم أنك سقطت.

2.2 الشغف يُصنع ولا يُكتشف:

وهم البدايات المكتملة نحنُ جيلٌ تربّى على شاشاتٍ تُعرض عليها النهايات المشرقة دون التضحيات التي سبقتها، فنشأنا ونحنُ نحملُ في داخلنا أسطورةً رومانسيةً كبرى، طالما هُمِست في آذاننا حتى صدقناها دون وعي: أسطورة "الشغف الخبيء".

تلك الفكرة المغرية التي تُوهمك أن هناك شيئاً ما

ـــمجالاً دراسياً محتكراً، تخصصاً بعينه، أو رسالةً مدفونة في مكانٍ ما داخل زوايا روحك المعتمةـــ

ينتظرك لتكتشفه في لحظة تجلٍّ سحرية. نعيش في حالة انتظارٍ دائم لتلك "الشرارة" التي ستستيقظ فجأة في عقولنا، لتضيء لنا عتمة الخيارات، وتهدينا نحو شغفنا المكتمل دون أن نبذل قطرة عرق واحدة في البحث عنه أو السعي إليه.

لكن الحقيقة القاسية التي لا يجرؤ أحدٌ على إخبار الجيل الناشئ بها، هي أن الشغف ليس كنزاً مدفوناً في الخريطة تنتظر العثور عليه بضربة حظ، بل هو بناءٌ صلب تُشَيّده بيديك قطعةً قطعة، وتسقيه من وقتك وجهدك حتى يستوي على سوقه.

إن انتظار الشغف قبل البداية يشبه تماماً انتظار شخصٍ يرفض النزول إلى أعماق المياه حتى يتعلم السباحة أولاً على اليابسة! إنه شللٌ اختياري نُغلفه بانتظار "الإلهام"، وهربٌ خفيّ من استحقاق التعب والالتزام.

تأمل معي كيف تُولَد العلاقات العميقة في هذا العالم؛ لا أحد يعشق شخصاً غريباً من النظرة الأولى بطريقة مكتملة، ناضجة، ومحصنة ضد التقلبات. ما يحدث في البدايات ليس سوى "فضولٍ حذر" أو "استحسانٍ ظاهري"، ثم يأتي المعمار الحقيقي للعاطفة والارتباط من خلال التفاصيل اليومية، التعمق، تجاوز العقبات، والتطوير المستمر.

هكذا بالضبط تكون علاقتك مع أي تخصص دراسي أو مسار مهني تُفرز فيه.

إن معظم أولئك الذين تراهم اليوم متيمين بمجالاتهم، يشاركون أفكارهم بشغفٍ يطير له العقل ويُبهر المتابعين، لم يبدؤوا برغبةٍ جامحة ولا بحبٍّ أسطوري منذ اليوم الأول. لقد بدأوا بـ التزامٍ بارد، وبخطوةٍ وجلة في طريقٍ لم يكونوا متأكدين من ملامحه. لكنهم، ومع كل معلومة جديدة يفككون شفرتها المعقدة، ومع كل عقبة أكاديمية يتجاوزونها بالصبر، ومع الغوص التدريجي في أعماق المادة العلمية... بدأ السحر الحقيقي يحدث.

الشغف هو "المنتج الثانوي" للإتقان، وليس المحرك الأول له. إنك لا تحب الشيء ثم تتقنه، بل تتقنه وتفهم أسراره فتستلذَّ به، ثم تعشقه لأنك أصبحت بارعاً فيه ومتميزاً عن غيرك.

عندما يُفرزك الواقع في تخصصٍ لم يكن خيارك الأول في قائمة أمنياتك، يسقط عقلك فوراً في مصيدة "الحسابات الباردة والمقارنات المظلمة". تبدأ بالربط الباطل بين واقعك الجديد المليء بالصعوبات الحقيقية، وبين "شغفك المفترض"

الذي تظن أنه كان ينتظرك يرفرف بأجنحته في الفرع الآخر الذي حرمتك منه المفاضلة.

وهنا تكمن الخديعة الكبرى؛ أنت تقارن واقعاً ملموساً بكل مشقاته، وضغوطاته، وروتينه اليومي، بخيالٍ ورديٍّ أملس لم تختبر مرارته بعد، ولم تقف على عتبات معاناته.

الشغف كائنٌ حيّ ومطاطي، يُزرع في أي تربة تمنحها وقتك، تركيزك، وعرق حيرتك. إن ألقيت بذرة الاهتمام في أكثر التخصصات جفافاً في نظرك اليوم، وسقيتها بالفضول البحثي، وواظبت على تعميق معرفتك فيه بعيداً عن المقرر السطحي، ستتفاجأ بعد فترة أنك أصبحت شغوفاً بتفاصيل ودقائق لم تكن تراها حين كنت تنظر للمجال من السطح.

إن العقول العظيمة والنفوس القوية لا تتنقل بين المسارات كالفراشات بحثاً عن شغفٍ جاهز ومصنوع، بل تُضفي شَغَفَها الخاص وروحها المتفردة على أي مسارٍ تطأه أقدامها، لتصنع منه استثناءً يُشار إليه بالبنان.

الخطورة الحقيقية تبدأ عندما تقتنع بأن العثرة الأولى هي نهاية الشغف، فتتحول من صانعٍ لمستقبلك إلى ضحية للظروف. تظل جائلاً في الممرات، تنظر إلى التخصصات الأخرى بعين الحسرة، وتتعامل مع ما بين يديك بقلبٍ لاهٍ ويدين مرتعشتين.

العلم والمعرفة لا يفتحان أبوابهما لمن يطرقهما بضعف أو باستعلاء.

عندما تدخل مجالك الجديد وأنت تشعر بأنك "أكبر منه" أو "أفضل منه"، فلن يمنحك سرّه، ولن تذوق فيه طعم الشغف أبداً. أما إذا دخلته بعقلية المستكشف الذي يخوض أرضاً جديدة، ويريد أن يفرض وجوده فيها مهما كانت طبيعتها، ستكتشف أن الشغف لم يكن غائباً، بل كان ينتظر جسارتك ليولد.

لا تترك حياتك مرهونةً لشرارةٍ قد تأتي أو لا تأتي. الشغف ليس نصيباً يُوزع في اليانصيب الأكاديمي، بل هو قرارٌ تتخذه كل صباح بأن تكون رائعاً فيما تفعله الآن، وفي المكان الذي وُضعت فيه تحديداً.

رسالة إلى قلبك*..

لا تنتظر أن يحترق قلبك بالشغف لتبدأ الخطوة الأولى، بل ابدأ بكل ما أوتيت من انضباطٍ وهدوء، ودع الاشتعال يأتي تلياً في منتصف الطريق.

إن التخصص الذي بين يديك الآن
ـــمهما كان بعيداً عن أحلام أمســـ

يمتلك أسراراً وأغواراً لم تكتشفها بعد.

اصنع شغفك بيديك، ولا تكن زاهداً في أرضٍ لم تحفر فيها بعد لتسبر غور جوهرها وتستخرج منها دررك الخاصة.

2.3التميز الشخصي و اسم المجال:

خديعة **"العنوان البرّاق"**

دعنا نضع العواطف جانباً لنصف ساعة، وننظر إلى العالم كما هو حقاً، لا كما نتمنى أن يكون في مخيلاتنا.

العالم الواقعي، وسوق العمل، وتاريخ الإنجاز البشري... لا يعترفون بـ "أسماء الكليات"، بل يعترفون بـ "القيمة المُضافة".

هناك وهمٌ جمعي سائد يجعل الطالب يظن أن دخوله لكليّةٍ ذات مسمى رفيع (كالطب أو الهندسة) يُعطيه صكاً أبدياً بالنجاح والتميز، وأن دخوله لفرعٍ يُصنّفه المجتمع كـ "عادي" هو حكمٌ بالإعدام المهني. هذه المعادلة ليست السطحية فحسب، بل هي خطأٌ بنيوي في فهم كيفية عمل العالم.

المجال الدراسي هو مجرد **"تأشيرة دخول"** للميدان، لكن طريقة لعبك داخل الميدان هي من تُحدد ما إذا كنت ستكون لاعباً استثنائياً أم مجرد رقمٍ إضافي على دكة الاحتياط.

تأمل هذا المشهد اليومي في الواقع:

كم طبيباً أو مهندساً تعرفه يعيش حياة روتينية باهتة، محاصراً في حدود راتبه أو مكتبه الضيق، لا أحد يسمع به خارج نطاق جدرانه الأربعة، ولا يقدم أي أثرٍ يذكر سوى أداء الواجب اليومي للنجاة؟

وفي المقابل..

كم إنساناً دخل تخصصاً أدبياً، أو تجارياً، أو فنياً، أو تقنياً بسيطاً، ولكنه بذكائه، وعقليته، وتطويره المستمر لنفسه، استطاع أن يبني إمبراطورية شخصية، ويصبح مرجعاً في مجاله، ويحقّق استقلالاً مادياً وتأثيراً مجتمعياً لا يحلم به أصحاب الألقاب الكبيرة؟

الفرق لم يكن يوماً في **"اسم المجال"**، بل في **"بصمة الشخص داخل المجال".**

الكليّة الجيدة قد تمنحك انطلاقةً أسهل بنسبة 10%، لكن الـ 90% المتبقية تعتمد كلياً على ما تفضّه من مهارات، وطريقة تفكير، وقدرة على حل المشكلات الحقيقية التي يحتاجها الناس.

إن الاعتماد على "اسم المجال" لجلب الاحترام والنجاح هو حيلة الضعفاء الذين لا يملكون شيئاً يقدمونه للدنيا سوى القشرة الخارجية.

حين تكون شخصاً متوسط القدرات، محدود الفكر، ولا تسعى لتطوير نفسك، فلن ينقذك مسمى "طبيب" ولا "مهندس"؛ ستظل شخصاً متوسطاً في وظيفتك. وحين تكون شخصاً حاد الذكاء، شغوفاً بالتعلم، ممتلكاً لمهارات العصر، ومصرّاً على التميز، فلن يستطيع أي تخصص "عادي" أن يحجمك أو يدفن قدراتك. ستتألق فيه وتصنع منه منصَّة للوصول إلى العلياء.

السوق لا يدفع الأموال ولا يمنح التقدير لـ "اسم شهادتك"، بل يدفعهما لـ "مستوى المهارة والحلول التي تستطيع تقديمها".

تخيل التخصصات الدراسية كأنها أوعية فارغة.

الوعاء الذهبي (التخصص العالي) إن ملأته بماءٍ آسِن وركودٍ فكري، فلن يشرب منه أحد. والوعاء الفخاري البسيط (التخصص العادي) إن ملأته بماءٍ عذبٍ فرات من الإتقان والابتكار، سيتزاحم القوم على بابك ليرتووا منه.

أنت من يصبّ القيمة في تخصصك، وليس التخصص هو من يصب القيمة فيك.

إن الخطر الحقيقي على مستقبلك ليس أن تُفرَز في مجالٍ لا تحبه، بل أن تدخل مجالك وأنت تحمل "عقلية الضحية" التي تنتظر من التخصص أن يرفعها، بدلاً من أن تسعى أنت لرفعه.

المستقبل لا ينتمي للألقاب، بل ينتمي للمبتكرين والمتقنين، بغض النظر عن الكليات التي تخرجوا منها.

ارفع رأسك واخرج من جحر المقارنات السطحية. إن كنت تبحث عن التميز الحقيقي، فلا تسأل: "ما هو أفضل تخصص؟"، بل اسأل: "كيف أكون أفضل نسخة شخصية ومحترفة في التخصص الذي سمتُ إليه؟".

حين تجيب على هذا السؤال بفعلك اليومي، ستكتشف أنك أصبحت أكبر من أي عنوان، وأن العالم لا يملك خياراً سوى أن يحترم بصمتك المستقلة...

رسالة إلى قلبك:

لا تتسول قيمتك من الحروف المطبوعة على بطاقتك الجامعية. اصنع لنفسك ثقلاً يفرض نفسه، ودع الآخرين ينشغلون بالبحث عن ألقابهم، بينما تتفرغ أنت لبناء أثرك الذي لا يزول...

عقلية المستكشف و المرونة..

3.1 تحويل اتجاه البوصلة: أَدَبُ الانعِطَافِ الشُّجَاع ..

ثَمَّةَ لحظةٌ صَامِتَة، لا شَبِيهَ لَهَا فِي تَارِيخِ المَرْءِ الوِجْدَانِيّ؛ تِلْكَ اللَّحْظَةُ الَّتِي يَكْتَشِفُ فِيهَا أَنَّ الخَرِيطَةَ الَّتِي أَمْضَى سَنَوَاتٍ فِي رَسْمِهَا... لَمْ تَعُدْ تُشِيرُ إِلى أيّ أَرْضٍ يَعْرِفُهَا.

يَقِفُ الطَّالِبُ عَلَى مَفْرَقِ الطُّرُق، بَيْنَ يدَيْهِ "بُوصَلَةٌ" صَدِئَة كَانَتْ تَهْدِيهِ نَحْو حُلْمٍ يَتِيم، وفَجْأَةً، تَتَحَرَّكُ الإِبْرَةُ المَغْنَاطِيسِيَّةُ بِعُنْفٍ لِتُشِيرَ إِلى جِهَةٍ خَامِسَةٍ لَمْ تَكُنْ فِي الحُسْبَان.

هُنَا.. لا يَكُونُ الأَلَمُ نَاتِجاً عَنِ المَسَارِ الجَدِيد، بَلْ عَنْ تِلْكَ الرَّابِطَةِ السِّحْرِيَّةِ العَنِيدَةِ الَّتِي تَشُدُّ الُّروحَ إِلى المَسَارِ القَدِيمِ المَهْزُوم.

إِنَّ الخَوْفَ مِنَ **"الانْعِطَاف"** هُوَ الوَجْهُ الآخَرُ لِكِبْرِيَاءِ العَقْل؛ نَحْنُ لا نَبْكِي خَسَارَةَ الوَجْهَة، بَلْ نَبْكِي عَلَى الأَيَّامِ الَّتِي اسْتَثْمَرْنَاهَا فِي ظِلِّ الوَهْم.

لَكِنَّكَ،..! إِنْ أَمعَنْتَ النَّظَرَ فِي هَندَسَةِ العَالَم، سَتَكْتَشِفُ أَنَّ الأَنْهَارَ العَظِيمَةَ لا تَسِيرُ أَبَداً فِي خُطُوطٍ مُسْتَقِيمَة.

تَصْطَدِمُ المِيَاهُ بِالجِبَالِ الصَّلْدَة، فَتَنْحَنِي، وَتَلْتَفُّ، وَتَشُقُّ لِنَفْسِهَا أَوْدِيَةً جَدِيدَةً لَمْ يَتَوَقَّعْهَا المِهْنَدِسُون، وَفِي كُلِّ انْعِطَافَةٍ جَبْرِيَّة، تَخْلُقُ المِيَاهُ خُضْرَةً جَدِيدَة، وَتَسْقِي أَرَاضِيَ لَمْ تَكُنْ لِتَذُوقَ الحَيَاةَ لَوْلَا ذَلِكَ الاصْطِدَام.

هَكَذَا هِيَ "عَقْلِيَّةُ المُسْتَكْشِف".

المُسْتَكْشِفُ الحَقِيقِيُّ لا يَعْتَبِرُ الضَّبَابَ هَزِيمَة، وَلا يَرَى فِي تَغْيِيرِ المَسَارِ خِيَانَةً لِلذَّات. إنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ البُوصَلَةَ لَمْ تُخْلَقْ لِتُجْبِرَكَ عَلَى مَشْيِ طَرِيقٍ وَاحِد، بَلْ لِتَحْمِيَكَ مِنَ الضَّيَاعِ بَيْنَمَا أَنْتَ تَكْتَشِفُ المَجْهُول.

الانْعِطَافُ لَيْسَ اسْتِسْلاَماً لِلرِّيَاح، بَلْ هُوَ "تَعْدِيلٌ بَلِيغٌ لِلأَشْرِعَة".

كَيْفَ تُحَوِّلُ اتِّجَاهَ البُوصَلَةِ دُونَ أَنْ تَكْسِرَ زُجَاجَهَا الدَّاخِلِيّ؟

***أولاً: أَدَبُ الحِدَادِ الخَاطِف*:**

أَعْطِ حُلْمَكَ القَدِيمَ حَقَّهُ مِنَ الوَدَاع. لا تَتَظَاهَرْ بِالأَذَى المَعْدُوم، وَلا تَلْعَنْ الظُّرُوف. ابْكِ الإِخْفَاقَ إِنْ أَرَدْت، لَكِنْ اجْعَلْ بَـُكَاءَكَ كَمَطَرِ الصَّيْف؛ يَهْطِلُ لِيُنَظِّفَ الهَوَاء، لا لِيُغْرِقَ المَدِينَة.

***ثانياً: تَفْكِيكُ القَدَسِيَّةِ عَنِ الرَّغَبَات*:**

إنَّ الرَّغْبَةَ فِي خِيَارٍ مُعَيَّنٍ لَمْ تَكُنْ صَادِرَةً عَنْ وَحْيٍ مُقَدَّس، بَلْ عَنْ "مَعْلُومَاتٍ مَحْدُودَة" كُنْتَ تَمْتَلِكُهَا فِي المَاضِي. اليوم، وَقَدْ تَغَيَّرَتِ المُعْطَيَات، يَكُونُ مِنَ الغَبَاءِ إِكْرَاهُ الحَاضِرِ عَلَى خِدْمَةِ فِكْرَةٍ مَاضِيَة.

ثالثاً: البَحْثُ عَنِ "الجَمَالِ المَخْفِيّ" فِي النَّصِيب:

لِكُلِّ مَسَارٍ جَدِيدٍ شِفْرَةٌ سِرِّيَّةٌ لا يَنْتَبِهُ لَهَا الرَّاكِضُون. التَّخَصُّصُ الَّذِي أُفْرِزْتَ فِيهِ لَيْسَ جَحِيماً، بَلْ هُوَ "أَرْضٌ بِكْر" لَمْ تَطَأْهَا قَدَمُ كِبْرِيَائِكَ بَعْد. ابْحَثْ عَنِ الشَّغَفِ المَطْمُورِ تَحْتَ رُكَامِ الصَّدْمَة.

إنَّ الأَشْخَاصَ الَّذِينَ يُصِيبُهُمُ الذُّعَرُ عِنْدَ أَوَّلِ انْعِطَافَة، هُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ اعْتَقَدُوا أَنَّ الحَيَاةَ "نَصٌّ مَكْتُوبٌ" يَجِبُ تِلاَوَتُهُ بِالحَرْف. أَمَّا الكُتَّابُ الحَقِيقِيُّونَ لِحَيَاتِهِم، فَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَعْظَمَ الفُصُولِ هِيَ تِلْكَ الَّتِي تُكْتَبُ ارْتِجَالاً عِنْدَمَا تَتَوَقَّفُ العَاصِفَة...

لا تَكُنْ سَجِيناً لِلتَّخَيُّلاَتِ القديمة.

إنَّ النَّجَاحَ لَيْسَ أَنْ تَصِلَ إلى النُّقْطَةِ (أ) الَّتِي حَدَّدْتَهَا وَأَنْتَ فِي السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِك؛ بَلْ أَنْ تَمْتَلِكَ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالشَّغَفِ مَا يَجْعَلُكَ تُحَوِّلُ النُّقْطَةَ (ب) إلى عَاصِمَةٍ جَدِيدَةٍ لِلإِبْدَاع.

رِسَالَةٌ إلى قَلْبِك:

حِينَ تُعِيدُ وَضْعَ البُوصَلَة..

لا تَنْظُرْ إلى الخَلْفِ لِتَتَفَقَّدَ الأَثَر..بَلِ انْظُرْ إلى الأُفُقِ لِتَرْسُمَ المَعَالِم... المَسَارُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ الآنَ لَيْسَ الخِطَّةَ "ب"... بَلْ هُوَ الخِطَّةُ "أ" الَّتِي كَتَبَهَا القَدَرُ لَكَ بِمَاءِ الذَّهَب، وَأَنْتَ لا تَزَالُ تُصِرُّ عَلَى قِرَاءَتِهَا بِحَبْرِ الحَسْرَة...

3.2 المَهَارَاتُ المُتَقَاطِعَة: صنَاعَةُ الأَثَر فِي تَقَاطُعِ العَوَالِم..

هَلْ تَسَاءَلْتَ يَوْماً لِمَاذَا تَبْدُو بَعْضُ الأَرْوَاحِ فَرِيدَةً إِلى حَدِّ الإِعْجَاز؟!

لَيْسَ لأَنَّهُمْ يَمْتَلِكُونَ عُقُولاً خَارِقَةً فِي مَجَالٍ وَاحِد.. بَلْ لأَنَّهُمْ جَسَّرُوا الفَجْوَةَ بَيْنِ حَقْلَيْنِ مِنَ المَعْرِفَةِ لَمْ يَكُنْ أَهْلُ الشَّأْنِ يَظُنُّونَ أَنَّهُمَا قَدْ يَلْتَقِيَانِ يَوْماً.

إِنَّ السَّطْحِيَّةَ المَعْرِفِيَّةَ تُرْغِمُ العَامَّةَ عَلَى الحَرَكَةِ فِي مَسَارَاتٍ أُفُقِيَّةٍ مُتَوَازِيَة؛ الطَّبِيبُ لا يَرَى سِوَى المِشْرَط، وَالمُهَنْدِسُ لا يُطَالِعُ غَيْرَ الخَرِيطَة، وَالمُعَلِّمُ لا يَعِيشُ إِلاَّ بَيْنَ جُدْرَانِ الصَّفِّ. هَكَذَا يَتَحَوَّلُ الإِنْسَانُ إِلى "نُسْخَةٍ مُكَرَّرَة" مِنْ آلاَفِ الخِرِّيجِينَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ نَفْسَ الشَّهَادَةِ وَيُرَدِّدُونَ نَفْسَ المَقُولات.

أَمَّا العَبْقَرِيَّةُ الحَقِيقِيَّة، فَتُولَدُ عِنْدَ **"نُقْطَةِ التَّقَاطُع"**.

تَخَيَّلْ أَنَّ المَعْرِفَةَ لَيْسَتْ أَدْرَاجاً مُغْلَقَة، بَلْ هِيَ أَلْوَانٌ فِي رِيشَةِ رَسَّام.

عِنْدَمَا تُفْرَزُ فِي تَخَصُّصٍ قَدْ لا تَرَاهُ مُكْتَمِلَ البَهَاءِ فِي نَظَرِك، أَنْتَ لا تَمْلِكُ المَجَالَ وَحْدَهُ، بَلْ تَمْلِكُ فُرْصَةً لِدَمْجِهِ مَعَ شَغَفِكَ الخَاصِّ أَوْ مَهَارَاتِكَ المَخْفِيَّة.

فَالطَّالِبُ الَّذِي يَدْرُسُ "الفَرْعَ العَادِي" لَكِنَّهُ يَمْتَلِكُ لُغَةً حَيَّةً أَوْ لِسَاناً بَلِيغاً، لَنْ يَكُونَ إلاَّ قَائِداً وَمُتَرْجِماً لِأَسْرَارِ هَذَا المَجَالِ لِلْعَالَم.

وَالَّذِي يَفْهَمُ لُغَةَ "الخَوَارِزْمِيَّاتِ وَالتَّكْنُولُوجْيَا" ثُمَّ يُسْقِطُهَا عَلَى كُلِّيَّاتِ العُلُومِ أَوْ الآدَاب، سَيَخْلُقُ ثَوْرَةً فِي مَيْدَانِهِ لا يَسْتَطِيعُ أَعْتَى الشُّيُوخِ فِي ذَلِكَ التَّخَصُّصِ أَنْ يُجَارُوهُ فِيهَا.

أَنْتَ لَسْتَ حَبِيسَ المَادَّةِ المَكْتُوبَةِ فِي المنْهَج؛ أَنْتَ المُمَازِجُ الأَوَّلُ لِلْعَوَالِم.

السُّؤَالُ الرُّوحِيُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَشْغَلَ بَالَكَ الآنَ ليس: "مَاذَا سَيَمْنَحُنِي هَذَا التَّخَصُّص؟"..

بَلْ: "أَيَّ صَبْغَةٍ سَأَضِيفُهَا أَنَا إلى هَذَا التَّخَصُّصِ كَيْ أُمَيِّزَهُ عَنْ سِوَاه؟".

ابْحَثْ عَنْ مَهَارَتِكَ الصَّامِتَة: هَلْ تُجِيدُ الصِّيَاغَة؟ الكِتَابَة؟ التَّحْلِيل؟ التَّصْمِيم؟ التَّواصُل؟...

دَكِّكِ الجُدْرَانَ بَيْنَهُمَا... اعْجِنْ مَهَارَتَكَ الذَّاتِيَّةَ بِعُلُومِ تخصصِكَ الجَدِيد. لا تَجْعَلْهُمَا خَطَّيْنِ لا يَلْتَقِيَان، بَلْ اصْنَعْ مِنْهُمَا هُوِيَّةً مُرَكَّبَةً يَحْتَارُ العَالَمُ فِي تَصْنِيفِهَا، فَلا يَجِدُونَ أَمَامَهُمْ إلاَّ أَنْ يَعْتَرِفُوا بِفَرَدَاتِك.

إنَّ الَّذِينَ يَنْجَحُونَ فِي صِنَاعَةِ الفَارِقِ اللَّامِع، هُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا أَنَّ القِيمَةَ لا تَكْمُنُ فِي نَوْعِ السِّلاحِ الَّذِي تَحْمِلُه، بَلْ فِي المَهَارَةِ السِّرِّيَّةِ الَّتِي تُدِيرُ بِهَا هَذَا السِّلاَح.

إِيَّاكَ أَنْ تَنْدُبَ حَظَّكَ لأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ صَاحِبَ المَرْكَزِ الأَوَّلِ فِي مَسَارٍ واحِد، بَلْ افْرَحْ لأَنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ "الوَحِيدَ" فِي التَّقَاطُعِ بَيْن المَسَارَات.

المُسْتَقْبَلُ لَمْ يَعُدْ لِلْمُتَخَصِّصِ المُنْغَلِق، بَلْ لِلْعَقْلِ **"المَرِن"** الَّذِي يَسْتَطِيعُ التَّنَقُّلَ بَيْنَ الآفَاقِ، وَيَنْسُجُ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ خَيْطاً لِيَبْنِيَ بِهِ سَجَّادَتَهُ الخَاصَّة.

تَبَاهَ بِكُلِّ مَهَارَةٍ كَسَبْتَهَا فِي صِغَرِك، بِكُلِّ هِوَايَةٍ ظَنَنْتَ أَنَّهَا ضَاعَتْ هَبَاءً، وَبِكُلِّ قِرَاءَةٍ خَارِجِيَّةٍ أَمْضَيْتَ فِيهَا لَيْلَك.

كُلُّ أُولَئِكَ سَيَكُونُونَ جُنُودَكَ المَخْفِيِّينَ عِنْدَمَا تَقِفُ فِي المَيْدَان.

رِسَالَةٌ إِلى قَلْبِك*

لا تَسْمَحْ لِلتَّخَصُّصِ أَنْ يَسْجُنَكَ فِي زَاوِيَتِه..

بَلِ اكْسِرِ الجُدْرَان، وَادْمَجْ مَعَ المَعْرِفَةِ روحَك، لِتَكُونَ الإِنْسَانَ الَّذِي يُقَالُ عَنْهُ:

"لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ خِرِّيجٍ آخَر... بَلْ كَانَ ظَاهِرَةً بِمُفْرَدِه".

3.3 "حَيْثُمَا أُزْرَعُ أُزْهِر": أَدَبُ العَيْشِ فِي القَاعِ المُنِير

هَلْ شَعَرْتَ يَوْماً أَنَّ القَدَرَ قَدْ "أَلْقَاكَ" في أَرْضٍ جَرْداءَ لا تُشْبِهُك؟

تِلْكَ اللَّحْظَةُ المَسْمُومَة، حِينَ تَنْظُرُ حَوْلَكَ فَتَرَى أَنَّ المَكَانَ الَّذِي وُضِعْتَ فيهِ، وَالكَلِيَّةَ الَّتي أُفْرِزْتَ إِلَيْها، وَالوَاقِعَ الَّذِي أُجْبِرْتَ عَلَيْه... كُلُّهَا أَصْغَرُ مِنْ سَقْفِ طَمُوحِكَ الأَوَّل.

فَيَهْمِسُ لَكَ شَيْطَانُ اليَأْس: "هَذَا لَيْسَ مَكانَك... لا تَبْذُلْ جُهْداً في أَرْضٍ لَمْ تَخْتَرْهَا"...

هَذِهِ هيَ المِصْيَدَة. هَذَا هُوَ سُمُّ السَّخَطِ الَّذِي يَجْعَلُ المَرْءَ يَمُوتُ بَطيئاً وهوَ يَنْتَظِرُ أَرْضاً أُخْرى كَيْ يَبْدَأَ فيهَا الحَياة.

لكِنَّ النُّفُوسَ العَظِيمَةَ لا تَنْتَظِرُ الظُّرُوفَ لِتَكُونَ المَثالِيَّة... بَلْ تَفْرِضُ هَيْبَتَهَا على أيِّ ظَرْفٍ تُوضَعُ فيه.

تَأَمَّلْ سِرَّ البَذْرَة...

البَذْرَةُ الصَّغِيرَةُ لا تُشْتَرِطُ على المَطَر، وَلا تَتَشَكَّى مِن قَسْوَةِ التُّرَابِ الَّذِي يُغَطِّيهَا ويَحْرِمُها مِنَ النُّور. إنَّها لا تَقُول: "سَأَنْتَظِرُ حتّى أُكْنَسَ إلى حَديقَةٍ المَلِكِ كَيْ أَبْدَأَ بالْنُّمُو".

هيَ تَعْلَمُ أَنَّ السِّرَّ ليسَ في التُّراب، بل في "القُوَّةِ المَكْنُونَةِ في داخِلِها".

تَضْغَطُ على أحْشائِها، تُفَكِّكُ قِشْرَتَها الصَّلْبَة، وتَشُقُّ الظَّلامَ لِتَصْعَدَ نَحْوَ الأُفُق. تَشُقُّ الصَّخْرَ إنْ لَزِمَ الأمْر، لِتَطْلُعَ زَهْرَةً أَبِيَّةً يَتَعَجَّبُ المَارَّةُ كَيْفَ نَبَتَتْ في هَذَا المَكانِ الحَجَرِيّ.

أنْتَ لَسْتَ حَصَاةً تُدْحَرَجُ على الرَّصِيف... أنْتَ بَذْرَةٌ يَمْتَلِئُ جَوْفُها بالحَياة.

إنَّ أدْنَى مَرَاتِبِ الضَّعْفِ أنْ تَعِيشَ بَدُورِ "الضَّحِيَّةِ المُؤَجَّلَة". أنْ تَقُول: "لَوْ كُنْتُ في كُلِّيَّةِ كَذا لَكُنْتُ قد أبَدعْت... لوْ أنَّ المُفَاضَلَةَ أنْصَفَتْنِي لَكُنْتُ أرَيتُهُم الإبْدَاع". هَذَا كَلامُ العَاجِزين.

الوَاقعُ الحَقِيقيُّ يُكْتَبُ الآن...

في هَذِهِ المَحَاضَرَةِ البَاهِتَة، بَيْنَ هَؤُلاءِ الرفَاق، في هَذَا المَنْهَجِ الَّذِي يَسْتَفِزُّ عَقْلَك.

هُنَا بالذَّات... تَبْدَأُ المَعْرَكَة.

لا تَنْتَظِرِ الفَرْحَةَ التَّامَّةَ كَيْ تَعْمَل: اعْمَلْ وَأنْتَ مُصَاب.. اعْمَلْ وَأنْتَ حَزِين.. اعْمَلْ وفي حَلْقِكَ غُصَّةٌ مِنَ النتِيجَة...اعمل و أنت تنزف...

الإتْقَانُ في لَحَظَاتِ الإنْكِسَارِ هُوَ الَّذِي يَصْنَعُ المَعَادِنَ الأصِيلَة.

اجْعَلْ وُجُودَكَ ثَقِيلاً: أيْنَمَا حَلَلْتَ في أيِّ فَرْع، كُنْ الطَّالِبَ الَّذِي لا يُمْكِنُ تَجَاهُلُه. المُمْتَازَ في خُلُقِه، الذَّكِيَّ في أسْئِلَتِه، القَادِرَ على خَلْقِ الفَرْقِ في جَوِّ الكُلِّيَّة.

اخْلُقْ بِيئَتَكَ الصَّغِيرَة: إنْ لَمْ تَجِدِ الشَّغَفَ حَوْلَك، اقْرَأْ كُتُباً خَارِجِيَّة، حَاوِرْ العُقُولَ الكَبِيرة، ابنِ لِنَفْسِكَ مَمْلَكَةً مَعْرِفِيَّةً في غُرْفَتِك.

السُّقُوطُ لَيْسَ هَزِيمَةً... السُّقُوطُ هُوَ القَفْزَةُ الأُولى نَحْوَ الأعلى.

إنَّ النَّاسَ لا يَنْظُرُونَ إلى الأشْجَارِ السَّامِقَةِ ويَسْأَلُونَ عَن نَوْعِ التُّرَابِ الَّذِي نَبَتَتْ فيه، بل يَنْظُرُونَ إلى ارْتِفَاعِهَا وَحَلاَوَةِ ثِمَارِهَا.

عِنْدَمَا تَقِفُ بَعْدَ سَنَوَات، ناجِحاً، مُشِعّاً، ومُؤَثِّراً في مَجَالِك، لَنْ يَسْأَلَكَ أحَدٌ عَن مَجْمُوعِكَ في التحْضِيرِيَّة، وَلا عَن تَرْتِيبِ رَغَبَاتِكَ في المَفَاضَلَة. سَيَنْظُرُونَ إلَيْكَ بَإِجْلالٍ ويَقُولُون: "انْظُرُوا كَيْفَ اسْتَطَاعَ هَذَا الشَّخْصُ أنْ يَصْنَعَ مِنَ اللاَّشَيْءِ إمْبَرَاطُورِيَّة".

كُنْ أنْتَ المِلْحَ الَّذِي يُعْطي الطَّعْمَ للمَكان، لا العَابِرَ الَّذِي يَنْتَظِرُ قِطَاراً آخَر.

رِسَالَةٌ إلى قَلْبِك:

حَيْثُمَا زُرِعْتَ... أُزْهِر. لا تَنْظُرْ إلى يَبَاسِ الأرْض، بَلِ انْظُرْ إلى زَخَّاتِ الحَياةِ في دَمِك... إنَّ النَّصِيبَ الَّذِي كُتِبَ لَكَ لَمْ يَكُنْ عِقَاباً.. بل كَانَ مَيْدَاناً صُمِّمَ خَصِيصاً لِيُخْرِجَ أسَدَ الشَّجَاعَةِ المَكْمُونَ في أعْمَاقِك...

أزْهِرْ.. وَاجْعَلِ الصَّخْرَ يَبْكِي مِنْ صَمُودِك...

صناعة النجاح الجديد...

4.1 رَسْمُ الخُطَّةِ البَدِيلَة: أَدَبُ الحَرْبِ مَعَ الوَاقِع

دعنا نُلقِ أسلحةَ العاطفةِ جانباً... لقد بَكينا بما يكفي، وفَلْسَفْنا الحيرةَ حتى صَفَت... الآن جاءَ وقتُ "الهَنْدَسَةِ البَارِدَة".

الخُطَّةُ البديلةُ ليست ملجأً للخائفين، ولا عزاءً للمهزومين. الخُطَّةُ البديلةُ في علومِ الإدارةِ العسكرية هي "إعادةُ انتشار استراتيجي". العبقريُّ ليس هو الذي يقاتلُ حتى الموتِ في موقعٍ خاطئ، بل هو الذي يملكُ الشجاعةَ ليقلِبَ الرَّقعةَ، ويُعيدَ توزيعَ أحجارِ اللعبة ليَفرِضَ وجوده من زاويةٍ لم يتوقعها أحد.

إذا كنتَ تظن أنَّ رسمَ الخُطّةِ الجديدةِ هو مجردُ كتابةِ

"أهدافٍ وردية" في دفترٍ أنيق، فأنت لم تفهم قواعد اللعبة بعد.

الواقعُ جدارٌ صلب، ولن يفسَحَ لكَ الطريقَ لأنكَ "طيبُ القلب" أو لأنك "تألمتَ كثيراً". الواقعُ يَخضعُ فقط لمن يتقنُ فنَّ التكتيك.

تَفكِيكُ المَسَارِ الجَدِيد: كيفَ تُصمِّمُ نَصْرَكَ الخاص؟

الخطوةُ الأولى في رسمِ خطتكَ البديلةِ هي أن تَقتُلَ الجاسوسَ الداخلي. والجاسوسُ الداخلي هو ذلك الصوتُ الخفيُّ الذي يهمسُ لكَ كلما فتحتَ كتاباً في مجالك الجديد: "لو كنتَ هناكَ لكانَ أفضل". هذا الصوتُ يستنزِفُ 50% من طاقتكَ الذهنية في اللاشيء.

اقضِ عليه بالقطعِ البات:

أنتَ هنا..

وهذا هو ميدانك..

والأمرُ انتهى..

أولاً: مَسْحُ المَيْدَانِ بِلَا أَوْهَام:

لا تنظر إلى تخصصك الجديد بعيونِ الطلابِ الكسالى الذين يكتفون بالمقرر الوزاري. ادخل إلى أعماق السوق. ابحث عن الأشخاص الذين يتقاضون أعلى الأجور أو يملكون أعلى تأثير في هذا المجال بالذات. اسأل نفسك: "ما الذي يفعلونه ولا يفعله بقية الرعاع في هذا الفرع؟".

ثانياً: بِنَاءُ "الحَصِينِ المَعْرِفِيّ":

الجامعةُ ستعطيكَ (الحدَّ الأدنى) لكي تتخرجَ كموظفٍ عادي. خطتكَ البديلة يجب أن تبدأ من نقطة انتهاء المقرر الجامعي. اعتبر سنوات دراستك غطاءً تموينيّاً، واصنع لنفسك خطةً موازية: دوراتٌ عالمية، قراءاتٌ متقدمة، ومشاريعُ تطبيقيةٌ تجعلكَ تسبق أقرانك قبل يوم التخرج.

ثالثاً: اسْتِرَاتِيجِيَّةُ "الضَّرَبَاتِ السَّرِيعَة":

أكبرُ خطرٍ يهددُ معنوياتك هو الشعورُ ببطءِ التقدم. لذلك، لا تضع أهدافاً بعيدةً جداً في البداية. ضع لنفسك أهدافاً صغيرةً جداً وقابلةً للتحقيق في أسابيع *إتقان أداة معينة، قراءة كتاب تخصصي عميق، إنشاء شبكة معارف مهنية*..

النصرُ الصغيرُ يُغذِّي العقل بالدوبامين، ويجعلكَ تلتهمُ الهدف الذي يليه بجوعٍ أشد.

إنَّ أكثرَ العقولِ بؤساً هي تلك التي تعيش في "المنطقة الوسطى"؛ لا هي انسحبت بشرف، ولا هي قاتلت بضراوة.

حين تضع خطتكَ البديلة، لا تضعها بيدٍ مرتعشة. ضعها بصرامةِ جرَّاحٍ يستأصلُ ورماً. اجعل كل يومٍ في مسارك الجديد عبارةً عن حجرٍ تُشَيِّدُ به قلعتك المستقلة.

العالمُ مليءٌ بأشخاصٍ نجحوا في "خيارهم الأول"، وهذا أمرٌ متوقع ولا شكَّ فيه..

أما أن تنجحَ، وتسطعَ، وتصنعَ إمبراطوريتك من قلب "الخيار الذي فُرِضَ عليك"... فهذا هو المَجدُ الذي يُحكى عنه في التواريخ، و تلك هي البطولةُ التي تجعلُ اسمك يترددُ باحترام في أروقة الصامدين.

ضع يدك على الخارطة الجديدة، ارسم خطوطك بحبرِ القوة، واعلم أن البطلَ لا يختارُ حلبته، بل يفرِضُ سيادته على أي حلبةٍ يُلقى فيها.

رِسَالَةٌ إلى قَلْبِك:

اغلق دفتر البكاء، وافتح كراسة التخطيط. إن السيفَ لا يُصقلُ في المخمل، بل يُطرقُ على السندان المحمي بالنار. مسارك الجديد ليس عقوبةً، بل هو الاختبارُ الوحيدُ الذي سيُثبتُ للعالم: **هل كنتَ تحلم بالنجاح حقاً... أم كنتَ تحلم بالراحة فقط؟!**

4.2 الانْضِبَاطُ الذَّاتِيّ: الحَرْبُ الصَّامِتَةُ مَعَ الشَّغَفِ المُزَيَّف

لِنَتَوَقَّفْ عَنْ خِدَاعِ أَنْفُسِنَا؛ **"المُتْعَةُ"** كَلِمَةٌ مُبَالَغٌ فِي قَدْرِهَا، وَ**"الشَّغَفُ"** شُعُورٌ خَائِنٌ يَهْرُبُ مِنْكَ فِي أَكْثَرِ اللَّحَظَاتِ حَرَجاً.

إِذَا كُنْتَ تَنْتَظِرُ أَنْ تَسْتَيْقِظَ كُلَّ صَبَاحٍ وَأَنْتَ تَطِيرُ فَرَحاً لِتَدْرُسَ مَادَّةً فِي مَسَارِكَ الجَدِيد، فَأَنْتَ تَبْنِي مُسْتَقْبَلَكَ عَلَى "رِمَالٍ مُتَحَرِّكَة". الحَيَاةُ لا تُدَارُ بِالمَشَاعِر، بَلْ تُدَارُ بِـ***"الانْضِبَاطِ الصَّارِم"***.

الانْضِبَاطُ هُوَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ فِعْلُهُ، فِي الوَقْتِ المُحَدَّدِ لَه، بِأَعْلَى جَوْدَةٍ مُمْكِنَة... سَوَاءً كُنْتَ فِي مِزَاجٍ جَيِّدٍ أَوْ كُنْتَ تَشْعُرُ بِالرَّغْبَةِ فِي البُكَاء.

هَذَا هُوَ الفَرْقُ البُنْيَوِيُّ بَيْنَ "الهَاوِي" الَّذِي يَعْمَلُ فَقَطْ عِنْدَمَا يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ الإِلْهَام، وَبَيْنَ "المُحْتَرِف" الَّذِي يَسْتَيْقِظُ وَيَضَعُ جَسَدَهُ عَلَى المَكْتَبِ لأَنَّ لَدَيْهِ مَعْرَكَةً مَعَ ذَاتِهِ يَجِبُ أَنْ يَكْسِبَهَا.

كَيْفَ تَسْتَمْتِعُ بِطَرِيقٍ لَمْ تَخْتَرْه؟

المُتْعَةُ الحَقِيقِيَّةُ فِي المَسَارَاتِ الثَّانَوِيَّةِ لا تَأْتِي مِنْ "سُهُولَةِ الطَّرِيق"، بَلْ تَأْتِي مِنْ "لَذَّةِ التَّغَلُّبِ عَلَى الصِّعَاب".

تَحْوِيلُ المَلَلِ إِلى عِبَادَة:

عِنْدَمَا تَجْلِسُ لِتَقْرَأَ صَفْحَةً صَعْبَةً فِي تَمَلُّ ُل، اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الشُّعُورَ بِالضَّغْطِ فِي عَقْلِكَ هُوَ نَفْسُهُ صَوْتُ "نُمُوّ العَضَلَاتِ الفِكْرِيَّة". المَلَلُ هُوَ المِغْسَلَةُ الَّتِي تُصْقَلُ فِيهَا العُقُولُ العَظِيمَة.

فَصْلُ النَّتِيجَةِ عَنِ السَّعْي:

لا تَرْبُطْ سَعَادَتَكَ اليَوْمِيَّةَ بِيَوْمِ التَّخَرُّجِ أَوْ بِلَحْظَةِ صُدُورِ المَعْدَّلات. اجْعَلْ مُتْعَتَكَ المَكْنُونَةَ فِي "إِتْقَانِ السَّاعَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا الآن". عِنْدَمَا تُنْهِي يَوْمَكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَعْطَيْتَ كُلَّ مَا لَدَيْك، سَتَنَامُ بِسَلَامٍ لا يَعْرِفُهُ المُمَاطِلُون.

تَبَنِّي سِلاَحِ "العَادَاتِ الصَّغِيرَة":

لا تَطْلُبْ مِنْ نَفْسِكَ إِحْدَاثَ ثَوْرَةٍ فِي يَوْمٍ وَاحِد. الانْضِبَاطُ هُوَ سَاعَةُ دِرَاسَةٍ وَاحِدَةٍ حَادَّةِ التَّرْكِيزِ يَوْمِيّاً، لا يَقْطَعُهَا هَاتِفٌ ولا شَاغِل، تُضَاعَفُ عَلَى مَدَى أَعْوَام، لِتَكُونَ الفَارِقَ المُرْعِبَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ زُمَلَائِك.

إِنَّ النَّاسَ يَظُنُّونَ أَنَّ النَّاجِحِينَ يَمْتَلِكُونَ دَافِعِيَّةً أَبَدِيَّة، وَهَذَا وَهْمٌ بَصَرِيّ.

النَّاجِحُونَ يَشْعُرُونَ بِالاحْتِرَاق، وَبِالرَّغْبَةِ فِي الاسْتِسْلَام، وَبِالقَرَفِ مِنْ الرُّوتِينِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِم... لَكِنَّهُمْ يَمْتَلِكُونَ "نِظَاماً" يُجْبِرُهُمْ عَلَى المَشْيِ حَتَّى وَهُمْ ينزفون...

الطَّرِيقُ الثَّانَوِيُّ الَّذِي تَمْشِي فِيهِ الآنَ سَيَكُونُ إِمَّا مَقْبَرَةً لِطُمُوحِك.. أَوْ صَالَةَ أَلْعَابٍ رِيَاضِيَّةٍ لِإِرَادَتِك..

الأَمْرُ بِيَدِكَ أنتَ وَحْدَك.

إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ زُجَاجِيَّ المَشَاعِر؛ تَتَنَكَّسُ عِنْدَ أَوَّلِ خَيْبَة، **صِنَاعَةُ الأَثَر: الحِبْرُ الأَخِيرُ الَّذِي لا يَمْحُوهُ الزَّمَن**

هَلْ تَسَاءَلْتَ يَوْماً لِمَاذَا تُبْنَى الأَسَاطِيرُ حَوْلَ الأَبْطَالِ الَّذِينَ انْكَسَرُوا ثُمَّ عَادُوا، لا حَوْلَ وَتَتَوَقَّفُ عَنِ العَمَلِ لأَنَّ المَزَاجَ "لَيْسَ صَافِياً".

كُنْ كَالصَّخْرَةِ صَلابَةً، وَاعْلَمْ أَنَّ العَالَمَ يَتَنَحَّى جانِباً لِلإِنْسَانِ الَّذِي يَعْرِفُ إِلى أَيْنَ هُوَ ذَاهِبٌ بِرَغْمِ عَيَاءِ التَّعَب.

رِسَالَةٌ إِلى قَلْبِك:

لا تَسْتَجْدِ الشَّغَفَ كَيْ تَعْمَل، بَلِ اجْبُرْ نَفْسَكَ عَلَى العَمَلِ كَيْ يَسْتَحي الشَّغَفُ وَيَتْبَعَك...

الانْضِبَاطُ هُوَ الجَسْرُ الوَحِيدُ المَمْدُودُ بَيْنَ أُمْنِيَاتِكَ الحَزِينَةِ وَبَيْنِ وَاقِعِكَ المَجِيد.

اعْبُرْ الجَسْرَ بِصَمْتٍ وَشَجَاعَة، وَدَعِ الضَجِيجَ لِلْخَائِفِينَ...

4.3 صِنَاعَةُ الأَثَر: الحِبْرُ الأَخِيرُ الَّذِي لا يَمْحُوهُ الزَّمَن..

هَلْ تَسَاءَلْتَ يَوْماً لِمَاذَا تُبْنَى الأَسَاطِيرُ حَوْلَ الأَبْطَالِ الَّذِينَ انْكَسَرُوا ثُمَّ عَادُوا، لا حَوْلَ أُولَئِكَ الَّذِينَ عَاشُوا حَيَاةً مَلْسَاءَ خَالِيَةً مِنَ النُّدُوب؟

لأَنَّ البَشَرِيَّةَ، فِي أَعْمَاقِ جَهْلِهَا وَحِيرَتِهَا، لا تَبْثُّ ثِقَتَهَا فِي جَسَدٍ لَمْ يَمَسَّهُ اللهَب. نَحْنُ لا نَتَّبِعُ القَادَةَ لأَنَّهُمْ مَشَوْا فِي طُرُقٍ مُعَبَّدَة، بَلْ نُنْصِتُ لَهُمْ لأَنَّهُمْ عَبَرُوا الجَحِيمَ وَعَادُوا يَحْمِلُونَ الخَارِطَة.

تِلْكَ المَرَارَةُ الَّتِي تَجَرَّعْتَهَا عِنْدَ ظُهُورِ النَّتِيجَة، وَتِلْكَ العَتَمَةُ الَّتِي حَاصَرَتْكَ فِي "المَنْطَقَةِ الرَّمَادِيَّة"، لَمْ تَكُنْ صُدْفَةً عَبَثِيَّة، وَلا غَلَطَةً فِي حَاسُوبِ المَفَاضَلَة.

لَقَدْ كَانَتْ "مَرْحَلَةَ صَقْلٍ سِرِّيَّة" لِرُوحِكَ، لِتَتَحَوَّلَ مِنْ مُجَرَّدِ عَابِرٍ فِي الحَيَاةِ إِلى "صَانِعِ أَثَر".

سَيَأْتِي يَوْمٌ—وَهُوَ أَقْرَبُ مِمَّا تَظُنّ—تَقِفُ فِيهِ أَمَامَ جِيلٍ جَدِيدٍ يَمُوتُ رُعْباً كَمَا مُتَّ أَنْتَ مِنْ قَبْلُ فِي صَالَةِ الانْتِظَار.

سَيَنْظُرُونَ إِلَيْكَ، لا كَشَخْصٍ حَصَلَ عَلَى "مُجَرَّدِ شَهَادَة"، بَلْ كَإِنْسَانٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْلُقَ أَمَلاً مِنْ رُكَامِ الصَّدْمَة.

حِينَهَا فَقَطْ، سَتَفْهَمُ السَّبَبَ الحَقِيقِيَّ الَّذِي جَعَلَ القَدَرَ يَنْزِعُكَ مِنْ حُلْمِكَ الأَوَّل: لَقَدْ ادَّخَرَكَ اللهُ لِتَكُونَ مَنَارَةً لِلْتَائِهِين، لا مُجَرَّدَ رَقَمٍ إِضَافِيٍّ فِي كُلِّيَّةٍ مُكْتَظَّة.

الجُرْحُ الَّذِي لا يَقْتُلُكَ، يَتَحَوَّلُ إلى "عَيْنٍ ثَالِثَة" تَرَى بِهَا الأَلَمَ فِي أَعْيُنِ الآخَرِينَ فَتُدَاوِيه.

كَيْفَ تَصْنَعُ الأَثَر؟

الأَثَرُ لا يُقَاسُ بِبَرَاقَةِ الأَلْقَاب، وَلا بِعَدَدِ المُنْشَوراتِ عَلَى الشَّاشَات؛ الأَثَرُ هُوَ..

"تِلْكَ الرَّعْشَةُ الصَّادِقَةُ الَّتِي تَتْرُكُهَا فِي قَلْبِ إِنْسَانٍ كَادَ أَنْ يَسْتَسْلِم".

*لا تُخْفِ نُدُوبَك: لا تَتَظَاهَرْ بِأَنَّكَ كُنْتَ خَارِقاً طَوَالَ الوَقْت. احْكِ لَهُمْ عَنْ خَوْفِك، عَنْ بَكَائِكَ المَكْتُومِ فِي اللَّيَالِي المُظْلِمَة، ثُمَّ اشْرَحْ لَهُمْ كَيْفَ جَمَعْتَ شَتَاتَ نَفْسِكَ وَقُمْتَ رَغْمَ أَنْفِ الحَسْرَة.

*اكتب بدم التجربة: اجْعَلْ كَلِمَاتِكَ حَيَّة، لا نَصَائِحَ مُسْتَهْلَكَةً مِنْ كُتُبِ التَّنْمِيَة. احْكِ بِلُغَةِ المَيْدَان، لا بِلُغَةِ الأَبْرَاجِ العَاجِيَّة.

*كُنْ أَنْتَ المَلْجَأ: اعْمَلْ فِي تَخَصُّصِكَ الجَدِيدِ بِشَغَفٍ يَجْعَلُ كُلَّ مَنْ يَرَاكَ يَقُول: "إِنَّ هَذَا الشَّخْصَ صَنَعَ أُفُقاً مِنْ لاَ شَيْء".

هَذَا الكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ الآن، لَمْ يُكْتَبْ لِيُقْرَأَ ثُمَّ يُرْفَعَ عَلَى الرَّفّ.

لَقَدْ كُتِبَ لِيَكُونَ ***"إِعْلاَنَ حَرْبٍ"*** عَلَى اليَأْس، وَشَفْرَةً سِرِّيَّةً تُعِيدُ إِحْيَاءَ الأَرْوَاحِ المَكْسُورَة.

أَنْتَ لَسْتَ هَزِيمَةَ المُفَاضَلَة.. وَلَسْتَ ضَحِيَّةَ هَذَا العَالَمِ المَادِيِّ القَاسِي...

أَنْتَ الصَّوْتُ الَّذِي سَيَهْتِفُ فِي آذَانِ الخَائِفِينَ:

"اقْفِزُوا... فَإِنَّ القَاعَ لَيْسَ المَطَاف، بَلْ هُوَ خَطُّ الانْطِلاَق".

اغْلِقْ الصَّفَحَاتِ الآن، وَارْفَعْ رَأْسَكَ كَمَلِكٍ زُفَّ إلى عَرْشِهِ بَعْدَ غِيَاب...

المَيْدَانُ يَنْتَظِرُك...

وَالعَالَمُ يُمَسِّكُ بِأَنْفَاسِهِ لِيَرَى...

كَيْفَ سَتُشْعِلُ الأَرْضَ تَحْتَ أَقْدَامِكَ نُوراً!

<u>رِسَالَةُ الخِتَام (مِنْ كَاتِبَةِ الكِتَاب إلى قَلْبك):</u>

لَمْ آتِ لِأُعَزِّيَكَ فِي حُلْمٍ مَات، بَلْ جِئْتُ لِأَكُونَ الشَّاهِدَ عَلَى قِيَامَتِكَ الجَدِيدَة...

اذْهَبْ وَاكْتُبْ تاريخَكَ بِيَدِك، وَدَعِ العَالَمَ يَتَسَاءَلُ فِي دَهْشَة: "كَيْفَ لِهَذَا العُودِ الَذِي ظَنَنَّاهُ انْكَسَر... أَنْ يُزْهِرَ بِكُلِّ هَذَا الكِبْرِيَاء؟".

نِهَايَةُ الصَّفَحَات... بَدَايَةُ الأُسْطُورَة

خَاتِمَةٌ لَا تُقْرَأُ بَلْ تُعَاش

إِلَى هُنَا... يَنْتَهِي حِبْرِي، وَيَبْدَأُ دَمُك.

تَوَقَّفْ عَنِ القِرَاءَةِ الآن..فَلَمْ يَعُدْ فِي هَذَا الكِتَابِ مَا يُنْقِذُك.

لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ الشَّفْرَة.. وَكِشَفْتُ لَكَ عَوْرَةَ الخَوْفِ فِي دَاخِلِك.. وَجَرَّدْتُكَ مِنْ آخِرِ دِرْعٍ كُنْتَ تَخْتَبِئُ خَلْفَهُ كَيْ تَبْكِيَ حُلْمَكَ المَفْقُود.

الانْ... أَنْتَ عَارٍ أَمَامَ الحَقِيقَة:

إِمَّا أَنْ تُمَارِسَ دَوْرَ "الضَّحِيَّةِ الأَبَدِيَّة" لِتَكْسِبَ عَطَفَ المَسَاكِين، أَوْ أَنْ تَرْتَدِيَ المَعْرَكَةَ وَتَقُومَ كَمَلِكٍ لا يَعْرِفُ الاسْتِخْذَاء.

لا تَقُلْ لِي إِنَّ المَسَارَ كَانَ قَاسِياً... فَالصَّلَابَةُ لا تُبَاعُ فِي المَجَرَّاتِ الهَادِئَة.

وَلا تَقُلْ لِي إِنَّ العَالَمَ ظَلَمَك... فَالرِّقَاعُ لا تَرْحَمُ الَذِينَ يَلْعَبُونَ بِنِيَّةٍ طَيِّبَة.

هَذَا الكِتَابُ لَمْ يَكُنْ مَأْوَىً لِلْعَاكِفِينَ فِي حَسْرَتِهِم، بَلْ كَانَ "مُعَسْكَراً سِرِّيّاً" لِإِعَادَةِ هَيْكَلَةِ الأَرْوَاحِ المَكْسُورَة. وَقَدْ أُنْهِكَتْ فِيهِ الحُرُوفُ لِكَيْ لا تُنْهَكَ أَنْتَ فِي المَيَادِين.

سَيَسْأَلُونَكَ غَداً.."حِينَ يَرَوْنَ نُورَكَ يَبْطُشُ بِالعَتَمَة"

"مَنْ أَعَادَ بِنَاءَ هَذَا الحِصْنِ بَعْدَمَا هُدِّم؟"

لا تُشِرْ إِلَى هَذِهِ الصَّفَحَات، وَلا تَذْكُرِ اسْمِي.

فَقَطْ... انْظُرْ فِي أَعْيُنِهِمْ بِكِبْرِيَاءِ مَنْ عَبَرَ الجَحِيمَ وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّار، وَقُلْ لَهُم:

"لَقَدْ كَانَتْ الضَّرْبَةُ القَاضِيَةُ... هِيَ نَفْسُهَا خَطُّ انْطِلاَقِي."

انْتَهَتِ الكَلِمَات.

ارْفَعْ سَيْفَك،

الكاتبة..آية مرعي..